

«التكامل الإعلامي العربي»

بين الإمكانات والتصور

دراسة وصفية تحليلية للخطاب عن التكامل الإعلامي العربي خلال فترة 1986 - 1995 .

إعداد الباحث: يوسف قمار

1 - مقدمة:

يعترف الباحث بداية أن موضوع الإعلام العربي ليس حديثا في حد ذاته بحكم الكم الهائل من الدراسات التي أنجزت في هذا الصدد، وإنما دراسة مضمون الخطاب المعبر عنه (أي عن الإعلام العربي) هو الذي لم يحظ بالأهمية الكبيرة في الأوساط الأكاديمية. إذ ما كتب حول الموضوع لا يرقى إلى درجة تشكيل الكم المعرفي المعبر عن الوضع العام الذي وصلت إليه حقيقة الإعلام العربي. ومن جهة أخرى فإن ظاهرة التكامل كمتغير ثابت في هذه الدراسة، فهو يقع بين الدراسات السياسية والاقتصادية والأمنية العربية التي تناولته من عدة جوانب وعلى مختلف المستويات، وبين الدراسات الإعلامية التي لم تنل حظها من قياس هذه الظاهرة (أي التكامل) على الإعلام العربي.

2 - تقسيم الدراسة

ولغرض الإلمام بكل جوانب هذا الموضوع إحتوت الدراسة على خمسة أقسام وخاتمة:

إحتوى القسم الأول من الدراسة (الإطار المنهجي) على عدة عناصر تناولت الإشكالية التي تدور حولها الدراسة وكذا التساؤلات العملية المتفرعة عنها إلى جانب أهم الأدوات المنهجية المستعملة في مثل هذه الدراسات وكذا الأهداف المرجو الوصول إليها والأسباب المحركة لتناول هذه الإشكالية، وبعد هذا العرض قسمت الدراسة إلى أربعة فصول بعناصرها:

أما الفصل الأول فقد تناول بالتحليل الاتجاه الوظيفي لظاهرة التكامل وكذا الأهمية التي يشكلها الإتصال في هذا التكامل والحاجة إلى أطروحات المدرسة الوظيفية في التنظيم الدولي في تكامل الإعلام العربي.

وفي الفصل الثاني ركزت الدراسة على مجموعة من الضرورات التي تحتم على المنطقة العربية النظر إلى إمكانية التكامل الإعلامي العربي إبتداء من أهمية التكتلات الإقليمية في هذا العصر ومرورا بالوضعية الهامة التي تحتلها المنطقة العربية في ظل السياسة الدولية وصولا إلى التحدي الصهيوني، على أن آخر الفصل كان عبارة عن تداخل تلك الضرورات بإمكانية التكامل الإعلامي العربي.

ومن جهة أخرى، أكد الفصل الثالث على سرد إحصائي للإمكانات الإعلامية الحاضرة في المنطقة العربية وذلك من خلال الخصائص المشتركة بين الدول العربية ووصف كمي لوسائل الإعلام العربية (الصحافة المكتوبة، الوسائل السمعية البصرية، وكالات الأنباء العربية، تكنولوجيا وسائل الإتصال...) كما إحتوى الفصل على لمحة عن صور وتجارب التعاون الإعلامي العربي خاصة منها جامعة الدول العربية ومجلس التعاون لدول الخليج العربي واتحاد المغرب العربي، كما إحتوى هذا الفصل على بيانات حول حجم التبادل البرامجي وإمكانية توسيعه.

أما الفصل الرابع فكان عبارة عن تحليل كمي ونوعي لمضمون بعض الوثائق ذات الطابع الإعلامي والتي تعكس مضمون الخطاب الإعلامي بشقيه الرسمي

وبعض المفكرين والمختصين من خلال التحليل الكمي لكل مجموعة من الوثائق وتفسيرها أي النتائج الكمية تفسيراً نوعياً وتقييمها على أساس ما تقدم في الدراسة. وفي الأخير قمنا بدراسة مقارنة لكلا الخطابين من حيث الأفكار الواردة في التحليلين (الكمي والنوعي) وكذا تقييم كل منهما من خلال الرؤى والأهداف التي يقوم عليها كل خطاب.

وفي الخاتمة إنتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج المستنتجة من تحليل إمكانيات «التكامل الإعلامي العربي» ومن قراءة مضمون الخطاب العربي عن هذا «التكامل».

3 - خلفية الإشكالية وتحديدها

إن إشكالية هذه الدراسة تقع في تحديد مدى تفاعل المتغيرين المشار إليهما سابقاً أي مضمون الخطاب الإعلامي من جهة والتكامل الإعلامي العربي من جهة أخرى في حدود الإنشغال التالي:

لماذا لم يرق الإعلام العربي إلى ما يمكن أن يسمى بـ (الكتلة العربية المتكاملة) رغم توفر الخصائص المشتركة، ورغم تلقي المنطقة العربية سيلاً من المواد الإعلامية والثقافية الأجنبية خاصة المرئية والمسموعة والتي لا تخدم دائماً تلك القواسم الثقافية المشتركة بين الدول العربية. ورغم قيام بعض الأشكال من التعاون الإعلامي بين هذه الدول رغم بروز بعض المؤسسات والمنظمات الإعلامية العربية على المستوى القاري والجهوي، هل أن السبب يعود للنقص الكمي والنوعي للإمكانيات المادية التي تسمح بذلك، أم أنه يعود إلى قصور «مضمون الخطاب الرسمي» وعدم وضوح إزاء هذه المسألة، أو أن الأمر يعود إلى عدم وجود تصور نظري لدى المفكرين والمختصين الذين اهتموا بمسألة «الإعلام العربي» وانساقوا وراء النزعات القطرية والمصلحة الأتنية الضيقة لبعض الدول ووراء تبرير ما تم إنجازه على أنه «نظام إعلامي عربي» متكامل؟.

4 - تساؤلات الدراسة

لما كانت هذه الدراسة من نوع الوصفي الاستكشافي فإن التعامل بالتساؤلات كان أكثر وجوباً لتحليل الإشكالية والإجابة عنها، وعليه فإن التساؤلات التي تحكمت في حدود هذه الدراسة هي كالتالي:

1 - ما هو تصور المدرسة الوظيفية لظاهرة التكامل؟ وما هي أطروحاتها؟ ويتفرع عن هذا السؤال:

أ - هل يمكن تصور إمكانية التكامل الإعلامي العربي بناءً على أطروحات المدرسة الوظيفية الجديدة؟

2 - ما هي الأسباب المباشرة التي تحتم على المنطقة العربية أن تتجه إلى التكامل الإعلامي العربي؟ ما هي الضرورات الواجب أخذها بعين الاعتبار عند صياغة فلسفة «الإعلام العربي المتكامل»؟.

ويتفرع عنه:

أ - ما هي الأهمية التي تشكلها التكتلات الإعلامية الدولية؟

ب - كيف يمكن أن نوفق بين تلك الأهمية وضرورة التكامل الإعلامي؟

ج - ما هي أهم التحديات التي تواجه الإعلام العربي (خارجياً) والتي تجعله مضطراً للتكامل قصد المواجهة؟

3 - ما هي الإمكانيات المتاحة للدول العربية والتي يمكن من خلالها رسم «سياسة» تكاملية إعلامية عربية؟

ويتفرع عنه:

أ - كيف يمكن أن تكون الخصائص المشتركة التي تتميز بها المنطقة، حافزاً لإمكانية التكامل الإعلامي العربي؟

ب - ما هي (الطاقة) - الإمكانيات البشرية والمادية - الإعلامية التي تحتوي عليها المنطقة العربية وهل هي كافية لتشكيل القاعدة الأساسية لإمكانية التكامل الإعلامي العربي؟

ج - أين وصلت التجارب التكاملية (في ميدان الإعلام) التي شهدتها المنطقة العربية؟

4 - ما هي الاتجاهات الأساسية التي بلورها مضمون الخطاب الرسمي إزاء قضية الإعلام العربية وإمكانية تكامله؟
ويتفرع عنه:

أ - ما هو التصور الذي عبر عنه كل من مضمون الخطاب الإعلامي العربي الرسمي ومضمون خطاب بعض المختصين والمفكرين العرب فيما يخص (التكامل) الإعلامي العربي؟

ب - ما هو اتجاه كل مضمون خطاب من القضايا التالية؟

وضعية التكامل الإعلامي العربي - وسائل التكامل الإعلامي العربي
مجالات التكامل الإعلامي العربي - طبيعة التكامل الإعلامي العربي
شروط التكامل الإعلامي العربي - أهداف التكامل الإعلامي العربي
عوائق التكامل الإعلامي العربي - الإعلام العربي الخارجي.

ج - ما هي درجة تداخل أو تباعد كلا الخطابين إزاء قضية التكامل الإعلامي العربي؟

5 - أسباب إختيار الموضوع وأهميته

لقد تفاعلت لدى الباحث عدة أسباب دفعته إلى دراسة مثل هذه المواضيع منها، ضآلة الدراسات التي تناولت ظاهرة التكامل وقياسه على الإعلام العربي على عكس الإقتصاد العربي، أما تلك التي عثر عليها الباحث فهي تحاول تحليل التخلف الإعلامي العربي إنطلاقاً من العوامل الخارجية فقط، متناسية الأسباب الداخلية التي شجعت هذا الضعف.

ومن جهة أخرى يرى الباحث أن أهمية هذه الدراسة تبرز على مستويين: الأول ويتمثل في القاعدة النظرية الأكثر ملائمة لتطبيع التكامل الإعلامي

على مستوى الواقع - والإشارة هنا إلى النظرية الوظيفية في التنظيم الدولي - ومن جهة أخرى دراسة هذا الواقع من خلال تحليل مضمون الخطاب الإعلامي المعبر عنه. كل ذلك على ضوء ما تتوفر عليه المنطقة العربية من وسائل وإمكانات والتي تعكس حركية الإعلام فيها. المستوى الثاني من الأهمية يكمن في طبيعتها، إذ أنها تقدم نظرة نقدية شاملة للتكامل الإعلامي العربي من خلال نقد مضمون الخطاب الإعلامي الرسمي المقدم من طرف المؤسسات الرسمية، كما تقدم نظرة نقدية أيضاً لوجهة نظرة الباحثين والمختصين والتي أنتجت خطاباً آخر يقع في التماس مع مضمون الخطاب الأول.

6 - أهداف الدراسة

بناء على كل ما سبق ذكره، رسمت للدراسة أهداف حاول الباحث تحقيقها وهي مختصرة فيما يلي: قياس مدى ملائمة الحثثيات النظرية للنظرية الوظيفية في التنظيم الدولي مع إمكانات التكامل الإعلامي العربي. ولما كان ولا بد من تبرير أهمية هذا الهدف فإن الوصول إلى تحديد أهم الحثثيات التي تفرض على العرب التفكير في جمع قواهم الإعلامية كان هدفاً آخر تسعى الدراسة الوصول إلى تحقيقه. ومن جهة أخرى حاولت الدراسة الوصول إلى سرد وتحديد أهم الإمكانيات المتوفرة لدى العرب وقياس مدى كفاءتها في عملية التكامل. وأخيراً كان الهدف من تحليل مضمون الخطاب الإعلامي العربي هو محاولة رسم الواقع الإعلامي العربي من خلاله.

7 - مناهج الدراسة وأدواتها

بناء على الإشكالية المذكورة سابقاً وتساؤلاتها وبناء على الأهداف المرجو تحقيقها، حددت لهذا الموضوع تقنيات منهجية خاصة إجتمع في شكل:

أ - المقاربة الوظيفية ب - أسلوب تحليل المضمون.

أما الأول فينقسم بدوره إلى مقاربتين أولها المنهج المقارن الذي يستعمل في عدة محطات من هذه الدراسة. مقارنة النظم الإعلامية في الدول العربية. مقارنة الأوضاع الإعلامية في الدول العربية... وكان وجوده (أي المنهج المقارن) أكثر عمقا في تحليل المضمون المقارن للخطابين الإعلاميين (الرسمي) و(بعض المفكرين والمختصين) وحرصاً من الباحث على الدقة عند تطبيق هذا النوع من المناهج، إرتكزت المقارنة على ثلاث جوانب أساسية وهي: موضوع المقارنة والمتمثل في النظم الإعلامية والإمكانات وكذا مضمون الخطاب الإعلامي المنتج. معيار المقارنة ولقد تحدد جغرافيا بحدود المنطقة العربية، وأخيرا تصنيف ظاهرة المقارنة واستعمال هذه التقنية في دراسة مضمون الخطاب الإعلامي كظاهرة للمقارنة.

إلى جانب المنهج المقارن إستعانة الدراسة بالأسلوب الوصفي التفسيري لتحديد بعض مكونات ظاهرة التكامل الإعلامي كما هي وإرتباطاتها ببعض الظواهر التي تحيط بها كالظواهر السياسية والمالية وتكتفية ثالثة من تقنيات المقاربة الوظيفية إستعملت الدراسة التحليل الوظيفي الذي يعني إرجاع الأنشطة الإعلامية التي تقوم بها الأنظمة الإعلامية إلى البناء التكاملي.

إعتمدت الدراسة إلى جانب المناهج السابقة الذكر، أسلوب تحليل المضمون كأداة من أدوات التحليل قصد الوصول إلى الكشف عن الصور الحقيقية التي وصل إليها التكامل الإعلامي العربي، ولقد حاول الباحث في هذا الإطار تطبيق كل الخطوات المعتمدة في تحليل المضمون ابتداء من :

أ - طبيعة البيانات المحللة: كان الإعتماد على مجموعة من الوثائق التي شكلت في مجملها مادة التحليل وهي على نوعين، وثائق رسمية وهي تلك الصادرة إما عن جامعة الدول العربية أو منظمة مختصة أو من دولة عربية بعينها ووثائق غير رسمية وهي بعض الكتب والمقالات لبعض المفكرين والمختصين لا ينتمون إلى مؤسسات رسمية وعلى هذا الأساس إعتمدت

الدراسة على تحليل 20 وثيقة حللت تحليللا كميا وكيفيا (من كتب ومقالات وقرارات وتوصيات...)

ب - العينة وإطارها الزمني: العينة المعتمدة في الدراسة هي العينة القصدية وذلك نظرا للصعوبة الكبيرة التي يشكلها تطبيق أنواع أخرى من العينات وعلى رأس هذه الصعوبات الوصول إلى كل الوثائق الرسمية لعدم نشرها بل وعدم وجود أصلا جهة في الجزائر تختص بجمعها.

ج - الإطار الزمني للعينة: حاولت الدراسة تغطية العشر سنوات الأخيرة أي ما بين 1986 - 1995 لتحليل مضمون الخطاب المنتج في هذه الفترة بالذات لأهمية الأحداث التي شهدتها (حرب الخليج الثانية - الأزمة الاقتصادية - إطلاق القمر الصناعي العربي).

د - فئات التحليل: بعد جمع الوثائق الخاصة بمضمون الخطاب الإعلامي العربي نحو مسألة التكامل الإعلامي العربي، جاءت خطوة القراءة الموسعة والمتكررة لمضمون تلك الوثائق على ضوء إشكالية وأهداف الدراسة وبناء على ذلك فقد إختيرت فئة الإتجاه كنوع من أنواع الفئات الشائعة الإستخدام في مثل هذه الدراسات ولغرض ضبط أسلوب التحليل والتحكم في طبيعة البيانات المحللة إنقسمت الفئات المختارة في إطار الإتجاه إلى ثلاث أصناف رئيسية تمثلت في التأييد والمعارضة والحياد.

وبعد كل ذلك تأكد للباحث أن هناك ثمانى فئات يدور حولها مضمون الوثائق وتأكد أيضا أن طبيعة تلك الفئات فرضت تقسيم كل منها إلى مجموعة من العناصر. أما الأسلوب المعتمد في تكيم وتفسير مضمون الوثائق فكان على أساس قياس تكرار الأفكار في سياق الفقرات الواردة فيها لتحديد إتجاهها وقصد التأكد من صحة أدوات التحليل وملاءمتها لإشكالية الدراسة من خلال العينة المدروسة قدم الباحث مجموعة من الوثائق إلى مجموعة من الأساتذة المحكمين قصد تعديلها وتقديم الملاحظات لإثرائها وبعد مراعاة تلك

الملاحظات ثم تعديل الفئات وعناصرها. وبعد القيام بتحليل تجريبي بسيط على عينة تتشكل من 4 وثائق تم ضبط الفئات وعناصرها كما هي واردة.

وحرصا على البعد الموضوعي للأدوات تحليل المضمون إحتكم الباحث إلى مجموعة من المحكمين الذين قاموا بدراسة 5 وثائق تم إختيارها بطريقة عشوائية وكانت النتيجة أن وصل معامل الثبات (وذلك تطبيقا لمعادلة هولستي) إلى 0,90 وهو معدل عال يدل على ملائمة أدوات التحليل لتناول مضمون العينة.

8 - نتائج الدراسة

بعد عملية التحليل والتفسير والمقارنة إنتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج نلخصها فيما يلي:

- تظهر النزعة القطرية ومنه عدم توفر الإرادة السياسية لدى الدول العربية عند أي مشروع يهدف إلى التقارب التكاملي للإعلام العربي ومنه صعوبة تطبيق معالم النظرية الوظيفية في هذا الإطار.

- تعيش المنطقة العربية جملة من التحديات تتداخل وتتفاعل فيما بينها لتشكل حتمية للتفكير في إمكانيات التكامل للمواجهة.

- تشكل الخصائص المشتركة التي تربط الدول العربية فيما بينها دافعا قويا للتفكير في التكامل الإعلامي العربي، فاللغة المشتركة والإتصال الجغرافي والتاريخ المشترك، كلها شروط تتوفر تلقائيا في المنطقة العربية.

- لم ترق التجارب التكاملية التي شهدتها المنطقة العربية في ميدان الإعلام، إلى ما يمكن أن نسميه بالإعلام العربي المتكامل وذلك للأهواء السياسية القطرية التي صبغت تلك التجارب ومؤسساتها.

- نستنتج من تحليلنا لمضمون (الخطاب) عن الإعلام العربي، هو أن هذا الأخيرة ينتج مضامين لا تعكس بوضوح في كثير من الأحيان، الوضع

الإعلامي في المنطقة فالخطاب الرسمي يمر غالبا فوق المعضلات الحقيقية التي تحد من إمكانية التكامل كالظروف السياسية والنزاعات القطرية والمصالح الآتية الضيقة وتداخل المصالح. وبهذا يكون قد أعاد إنتاج ما تبتته السلطات السياسية في المنطقة العربية من شعارات وأمني أقل ما يقال عنها أنها بعيدة عن الواقع. أما مضمون خطاب المفكرين والمختصين فقد نجح إلى حد ما إلى وصف الواقع الإعلامي بتناقضاته ومشاكله، ورغم ذلك فهو لم يتعد في الكثير من الأحيان إطار الوصف ليصل إلى طرح البدائل والحلول اللازمة للخروج من هذا الوضع.

وعلى هذا الأساس كانت تصورات كل خطاب تتجه إلى التأكيد على ضرورة توفير الإرادة السياسية في عملية التكامل الإعلامي ما دام أن الشروط الأخرى (المالية، اللغوية، المؤسساتية...) متوفرة تلقائيا في المنطقة العربية، ومن هنا يجب (حسب إتجاه مضامين الخطابين) أن يكون مشروع عملية التكامل فوق كل الإعتبارات السياسية القطرية دون إلغائها كلية، ولقد كان هذا الإتجاه أكثر بروزا في مضمون خطاب «بعض المفكرين والمختصين» ذلك لطبيعته المستقلة عن المؤسسات الإعلامية الرسمية.

معنى هذا أن مضمون الخطاب الثاني يتميز بنوع من - العقلانية - خلافا لمضمون الخطاب الأول (الرسمي) المشحون بالنزعة العاطفية. إن العقلانية هنا، هي محاولة تجسيد بعض أبعاد التكامل على ضوء ما يسمح به الواقع السياسي المذكور آنفا.